

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/12/14

تاريخ الارسال: 2019/03/02

المشروع الثقافي الفرنسي في موريتانيا (دراسة للأبعاد الاستشراقية في بلاد شنقيط)



د.بوها محمد عبد الله سيدي
أستاذ بالمعهد العالي للدراسات
والبحوث الإسلامية
- موريتانيا -

- الملخص: كان المشروع الثقافي الفرنسي في موريتانيا يهدف إلى طمس هوية البلاد وإخماد إشعاعها العلمي وسلب شعبها ثقافيا وحضاريا. فكان التركيز في البداية على التأسيس لمشروع نشر الثقافة فرنسية مواز للمشروع الثقافي العربي والإسلامي في البلاد، بوسائل متعددة منها: ابتعاث أبناء الشيوخ ورؤساء القبائل للدراسة في المؤسسات الفرنسية، وفتح المدارس الفرنسية في البلاد، وتقديم منح تشجيعية للطلاب... الخ. لتحقيق ذلك كان لابد من إرسال بعثات لاكتشاف المنطقة في أبعادها هويتها الحضارية وصلاتها الثقافية، وهو ما تكفل به وكلاء الاستعمار من مستشرقين وعسكريين ومترجمين، وفي هذه الورقة سنتطرق لحيثيات هذا ومدى تأثيره على هوية البلاد.

Abstract

Since its occupation of Mauritania, France has sought to obliterate the country's identity and put down its scientific radiation. It focused initially on the dissemination of French culture as well as Arab culture in the country. Through: honoring the sons of the heads of the tribes to study in French institutions, opening French schools in the country, and providing encouraging grants to students ... etc.

In order to achieve this, it was necessary to send missions to discover the region in its dimensions and its cultural identity and cultural links: depending on the colonial agents of: Orientalists, military and translators . In this paper we will address the reasons for this discovery and its impact on the identity of the country

تاريخ الارسال: 2019/03/02

تاريخ القبول: 2020/12/14

تاريخ النشر 2020/12/25

مقدمة:

كان لزاما على الإدارة الفرنسية وهي تسعى لتأسيس مشروعها الثقافي في موريتانيا أن تبعث بمستكشفين قادرين على اكتشاف هذا المجتمع من مختلف جوانبه وخاصة الثقافية والدينية، بغيت وضع خطط لإخضاع البلاد وسلبه شعبها ثقافيا وحضاريا، والقضاء على المؤسسات الدينية المزدهرة بإشعاعها والتي شكلت عقبة أمام المبشرين في الغرب الإفريقي. فكان لابد من دراسة هوية هذا المجتمع وتحديد خصوصياته، وسبل نقل الثقافة الفرنسية العالمة إليه.

أرسلت الإدارة الفرنسية بعثات مكونة من: مستشرقين (أساتذة تاريخ وعلم اجتماع وصحفيون وغيرهم) وضباط وإداريين. وقد ركزت معظم كتاباتهم على الجوانب الفكرية والعلمية، وتاريخ دخول الإسلام للبلاد وظروف تشكل دول المرابطين، و الهجرات العربية إلى الصحراء، من تلك الكتابات كتاب "رحلة عبر الصحراء" للمستشرق (كاستوه دوني Gaston Donnet)¹.

ولم يغب عنهم ذكر المؤسسات التعليمية التقليدية (المحاضر) والأدوار التي ساهمت بها في

تحصين هوية البلاد ونشر الإسلام وتعاليمه في الغرب الإفريقي، و من أولئك المستشرق (مولين Mollien). وبالإضافة إلى كتابات المستشرقين هناك التقارير التي كتبها الضباط أمثال: " إيجن آدوب ماج: Mage Eugene Abdon (1837-1869م) ² و"الضابط (جان فرانسوا كاي) (1799-1847م)" الذي أفرد في تقريره للحديث عن ثقافة البيطان³ وطبائعهم ونظمهم السياسية والاجتماعية والعادات والتقاليد إضافة إلى إعطاء تقديرات بأعداد السكان والثروات الحيوانية وطرق الانتجاع. وكان هو أول من أطلق تسمية موريتانيا على هذا القطر في وثيقة فرنسية مكتوبة، بدل بلاد البيض أو بيض السنغال، كما كان الفرنسيون يسمونها⁴.

وقد زار القائد العسكري (فينسان H Vincent). البلاد ومنع من دخول مدينتي شنقيط و وادان التاريخيتين، عندما رفض شيوخ هاتين المدينتين دخول هذا النصراني الوافد، ومع ذلك فقد التقى بيهودي أبيض كما وصفه في مدينة أطار يدعى (مردخ Mardocheé)، حيث رحب به وأعطاه كل المعلومات التي كان يرد أن يحصل عليها عن المدينتين. واستعان كذلك في كتاباته

- تاريخ الارسال: 2019/03/02 تاريخ القبول: 2020/12/14 تاريخ النشر 2020/12/25
- بشهادات العقيد فيدر، و المستكشف (باني Panet)⁵.
- أما مجموعة الإداريين الذين تعددت أدوارهم فمن أبرزهم (بول مارتي Paul Marty) مستشار الإدارة الفرنسية للشؤون الإسلامية في غرب إفريقيا، له ألف عدة مؤلفات عن موريتانيا وجوارها الإفريقي، وأسندت له مهمة وضع المناهج التربوية الفرنسية ومراحل تطبيقها في البلاد. أما الإداري الباحث كزافي (كوبولاني Xavier coppolanie) فقد تركزت نظرتة حول تحليل كنه الذات الإسلامية والآليات التي حافظ بها هذا المجتمع على قيمه ومعتقداته الإسلامية، لتسند له فيما بعد مهمة التوغل⁶.
- و لم يقتصر الاهتمام بهذا المجتمع على البعثات التي أوفدت للبلاد بل هناك من انشغل بجمع المعلومات والكتابة عنه مع أنه لم يزر هذه البلاد قط، ومن هؤلاء القس "بول بوالا" الذي كان يعمل لصالح الإدارة الاستعمارية الفرنسية في السنغال، وقد أولى عناية بالغة للمجتمع الشنقيطي فجمع معلومات عن رجال الدين وربط علاقات ببعض شخصيات المجتمع وأظهر لهم إعجابه بالمعارف الشنقيطية لدرجة أن صارت تصله
- بعض مؤلفات هؤلاء العلماء، ومن بين المؤلفات التي خلف لنا: مخطوط شنقيطي نادر بعنوان: "أمرؤك الحرف" وهو تأليف متنوع، يتطرق لجوانب عديدة من الحياة الثقافية للبلاد، حيث تناول ترجمات لأعلام المنطقة و بعض القصص الشعبية، هذا فضلا عن ترجمة أسماء الحيوانات والأشياء من الحسانية⁷ إلى العربية وكذلك ترجمة المفردات الشائعة في اللهجة الحسانية إلى العربية.
- وقد استعانت الإدارة الاستعمارية بمجموعة أخرى تمثلت في المترجمين كان من بينهم المترجم الجزائري إسماعيل أحمد الذي ترجم عدة مراسلات جمع بعضها في كتابه "سجلات موريتانيا" يستعرض فيه مراسلات الكوماندوا الفرنسي أمير أترارة والشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان كما تناول فصولا عن حياة ناصر الدين وبعض الوثائق عن أنساب البيطان. كما انتدبت الإدارة الفرنسية المترجم السنغالي دودوسك (ولد ابن المقداد) الذي درس في المحاضر الشنقيطية حتى تزلع في اللغة العربية والعلوم الشرعية، ووصل مستوى من التمكن باللهجة الحسانية أهله لقرض الشعر بها، وقد سخر معرفته هذه في خدمة الاستعمار يترجم ويعد التقارير

تاريخ الارسال: 2019/03/02

تاريخ القبول: 2020/12/14

تاريخ النشر 2020/12/25

حسب الطلب.

هذا الاهتمام البارز الذي أولاه المستكشفون لتراث هذا المجتمع سيكون هو المحدد لنجاعة وموائمة المشاريع الثقافية التي تريد الإدارة الفرنسية نشرها.

أولاً: الفرنسيون و التراث الشنقيطي:

عمل الفرنسيون منذ وصولهم الفضاء الشنقيطي، على البحث في مصادر الثقافة الشنقيطية خدمة لمشروعهم الثقافي الذي تسعى الإدارة الفرنسية أن تؤسس له في البلاد، وفي مستعمراتها بشكل عام. وفي هذا المسعى عملوا على ترجمة مؤلفات شنقيطية كثيرة، حصلوا عليها أو ألفت بطلب منهم، مستغلين في ذلك علاقاتهم ببعض مشايخ و شعراء وكتاب البلد.

حيث " قام قادة الاستعمار بترغيب بعض المؤلفين في العمل على بعض المواضيع الخاصة والتي تخدم في ظاهرها حركة البلاد ثقافيا فيما تحفي الهدف الرئيس منها وهو التعرف على تاريخ وأحوال البلاد من لدن المستعمر"⁸. كما دفعت الإدارة الاستعمارية بشخصيات مهمة بغية تعلم الثقافة الشنقيطية

عن قرب، حيث أصر البارون روجي⁹ على ضرورة إرسال (رَبْنِي كايي) إلى بلاد البيضان¹⁰ لتعلم العربية والتقاليد المحلية معتبرا ذلك شرطا لا غنى عنه للقيام بالرحلة المتوقعة إلى تنبكتو"¹¹.

ورغم مقاطعة المجتمع الشديدة للوافد الأجنبي، فقد وجدوا من يتجاوب معهم في طلباتهم المتعلقة بالتأليف عن الهوية والتراث الشنقيطي، مقابل بعض الهبات التي تقدمها لهم الإدارة الاستعمارية، أو تحت ضغط الخوف من مضايقتهم، في تحركاتهم، يقول أحد الباحثين:

"ذلك أنهم طلبوا من رجال العلم الموريتانيين الكتابة عن مواضيع تاريخية واجتماعية وهو ما لقي صدى طيبا عند هؤلاء العلماء، ومنهم: باب ابن الشيخ سيدي وابن حبت الغلاوي الذي ألف كتابا عن أنساب القبائل الموريتانيين وولد أحمد يوره، و محمد فال بن بابا الذي أكمل كتاب ولد الشيخ سيدي"¹²

ومن ذلك أيضا رسالة كومانندو حاكم أترارزة إلى الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان¹³ يطلب منه نسخة من كتاب الأنساب ل: محمد اليدالي أو لغيره

- تاريخ الارسال: 2019/03/02 تاريخ القبول: 2020/12/14 تاريخ النشر: 2020/12/25
- البشير بن أمباريكي: ".....فالشاعر والعلامة البشير بن أمباريكي، الذي هادن المستعمر تلبية لرغبة شيخه الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل رفض تولي أي منصب تحت الراية الفرنسية، ولذلك يقول رداً على أصدقائه الذين حاولوا إقناعه بتولي القضاء آنذاك"¹⁹. حتى قال:
- يارب من أراد لي إمارة....عند النصاري
ثقلن أوزاره
واجعله في الدنيا فقيراً
فاسقاً.....لا يلقى بعد الموت شيئاً لائقاً
- من جهة أخرى توالى التقارير والكتب والترجمات عن هذا المجتمع ونذكر على سبيل المثال ترجمة (بول مارتي Paul Marty) لكتاب أخبار الأخبار بأخبار الآبار، فضلاً عن كتبه عن الإسلام في موريتانيا وفي دول غرب إفريقيا.²⁰ كما عملت الإدارة الفرنسية على قطع الصلات بين هذا البلد ومحيطه العربي والإفريقي فعملت على فرض القيود على قوافل الحج وحظرت استيراد المصاحف....²¹.
- حتى صار الحاج الشنقيطي يستأذن من الإدارة الاستعمارية الفرنسية، ليحصل على
- ممن ألف في الأنساب: ¹⁴ فرد عليه أنه لم يؤلف في أنساب قبائل المنطقة، بل ألف كتابه المسمى بالحلة السيرة في أنساب العرب. وذكره بأنه سبق وأن أرسل إليه نسخة منه، ¹⁵ مع نسخة من كتاب والده الشيخ أحمد بن سليمان الذي ألف كتاباً في أنساب بعض قبائل البلاد، ومن هذه القبائل: ادبلحسن والسماسيد..الخ. وأخبره كذلك أنه سيرسل إليه كتاباً عن علماء تشمشة¹⁶ ودورهم في المجتمع وهو بعنوان "كرامات أولياء تشمشة" ل: محمد اليدالي المؤلف الذي سأل عنه الكومادو.¹⁷
- ويقول الشيخ سيدي بابا في مقدمة مؤلفه، تاريخ إمارتي (إدوعيش) و(مشظوف)، ".....وبعد احتلال الدولة الفرنسية في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث من القرن الرابع عشر، طلب مني بعض أكابرهم (الفرنسيين) الكتابة في ذلك، لما لهم بالمعارف، واستخراج الفوائد من أحوال السالف والخالف، فاعتذرت .."¹⁸.
- والواقع أن الحالة السائدة رفض أي نوع من أنواع التعاون مع المستعمر سواء كان هذا التعاون ثقافياً أو سياسياً عسكرياً أو استخباراتياً. ومن أمثلة ذلك موقف العلامة

- تاريخ الارسال: 2019/03/02 تاريخ القبول: 2020/12/14 تاريخ النشر: 2020/12/25
- ترخيص للخروج إلى الديار المقدسة، فهاهو العلامة محمد الأمين الشنقيطي يتوجه إلى سينلوي بالسنگال ليحصل على إذن بمغادرة البلاد للحج، حيث لقي هناك المستشرق (لريش Leriche) الذي أولاه عناية كبيرة، وحاول اكتسابه لصالح الإدارة الفرنسية من خلال هدية قدمها له، تمثلت في عشرة آلاف فرنك فرنسي إفريقي، كما أرسل إلى الحاكم الفرنسي في ولاية لعصابة (بيرو Bureau) يستأذنه في إمكانية تحمل الدولة الفرنسية تكاليف حجه، لكن الرد جاء بالرفض، نظرا لما أفاد به عُرفاء الاستعمار في المنطقة، عن مواقف الرجل المعادية للفرنسيين²².
- وهكذا فإن الإدارة الاستعمارية، استعانت ببعض الكتاب، في تدخل خطير على الهوية الثقافية للمجتمع، حتى ألقت بعض الكتب تحت طلب من الإدارة الاستعمارية، وهو ما يدل على بالغ الاهتمام الذي أعطاه هؤلاء المستشرقون للبلاد الموريتانية. ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إننا سنجدهم يؤلفون في اللغات والآداب الخاصة بهذا المجتمع، ومن ذلك الكتاب "منهج العربية المنطوقة في السينغال الذي أمر الحاكم الفرنسي فدربر بطبعه، سنة 1893، لمؤلف
- (ماري بيرنا Marie Bernard). وفي 1909 أضاف له (آلبير رينيي Albert Reynier) دراسة للهجة البيضان²³. وكذلك العمل الذي أعده الإداري الفرنسي (فرانسيس نيكولاس Francis Nicolas) لمنطقة ما وراء البحار، تحت عنوان اللهجة البربرية الموريتانية²⁴.
- كل هذه الجهود بذلت للتأثير في ثقافة وقيم البلاد والتميز بين مختلف أعراقه، سعي إلى طمس هويته. يقول الوالي العام لغرب إفريقيا في رسالة بعث بها إلى وزير المستعمرات سنة 1902، "لقد وجدنا أماننا شعبا يملك ماضيا مليئا بالأعجاز والفتوح ما تزال عالقة بأذهانه كما وجدنا مؤسسات اجتماعية لا نستطيع تجاهلها نظرا لعلاقات التضامن الوثيق التي تسود بينها(....)ومن الخطأ أن نقارنهم بالشعوب السوداء ذات التقاليد الأضعف والشعور الوطني الخافت..²⁵
- ثانيا: الثقافة الشنقيطية في كتابات الفرنسيين:
- تباينت آراء الفرنسيين حول المؤسسات التعليمية في البلاد، فأصحاب الاتجاه الأول رأوها بعين الإعجاب، وانبهروا بما تقدمه من

تاريخ النشر 2020/12/25	تاريخ القبول: 2020/12/14	تاريخ الارسال: 2019/03/02
يقطع الطلاب فيها المسافات الطوال، وزاد من حيرتهم هذا الحماس الشديد والمجهود المضاعف المبذول من طرف الطلاب في سبيل تحصيل العلم، تحت خيمة لا تقيهم برد الشتاء ولا تخفف عنهم حرارة الصيف.	تتابع المستكشفون مراحل تشكل التاريخ الثقافي للبلاد والنتائج التي حققتها المؤسسات التعليمية الشنقيطية، داخل الفضاء الشنقيطي وخارجه في المشرق والمغرب وفي غرب إفريقيا من خلال السفارة العلمية (المحظرة) الذين ذاع صيتهم في كل هذه الأقطار.	معارف جمّة، في فضاء شبه معزول عن المدن والقرى، ملاحظين ما لأهلها من حماس وحب لطلب العلم، رغم قسوة الطبيعة الصحراوية، مستحضرين الدور الكبير الذي تلعبه في المجتمع الشنقيطي، من تربية النشء وتكوين المجتمع على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، فيحفظ الصغار القرآن الكريم، في سن مبكر، ويتدرجون بين المتون الأخرى (الفقه واللغة...الخ).
ومن أمثلة ذلك المستشرق (أتين ريشي Etienne Richet)، الذي تابع بدايات دخول الطالب للمحظرة والظروف العامة فيها: يقول: إن الطالب منذ دخوله للمحظرة وحتى يحفظ الجزء أو الجزئين لا يدفع أي مقابل مادي، وإذا حفظ الجزئين، يقدم هدية لشيخه، تقدر ثلاث مائة أفرانك، وفي نهاية دراسته يختبره الشيخ وإذا نجح في الاختبار يكتب له إجازة من عنده مع سند ²⁷ .	أما أصحاب الاتجاه الثاني فنظروا إليها بعين الازدراء واعتبروا أن كل المعارف التي تقدمها، لا تعدو كونها محفوظات تلقن للصبيان حتى يلقنوها للأجيال اللاحقة، دون أن تكون هناك قيمة مضافة تنعكس على حياة الناس، ورأوا في طريقة التدريس بالمحظرة مشقة وخطورة على ذاكرة الأطفال ²⁶ . وهناك من أصحاب هذا الاتجاه، من بالغ حتى اعتبر أن المحظرة عديمة الفائدة، والمواد المدرسة بها لا تحمل فكرا وخالية من معاني العقيدة الإسلامية، وبعبارة أدق تفتقد إلى روح العصر وعاجزة عن حمل أي مشروع حضاري، حسب ما رأى أصحاب هذا الاتجاه الأخير.	وقد استغربوا من الأعداد الكبيرة للطلاب التي تأتي من كل حدب وصوب في ظروف قاسية،

- تاريخ الارسال: 2019/03/02 تاريخ القبول: 2020/12/14 تاريخ النشر: 2020/12/25
- ولوجهها، ويصف حالة تدافع الطلاب للتسجيل في المخطرة ويتنقلون مع شيخهم أينما حل وارتحل. كما "عبر بول بين لفى" عن تقديره المكانة التي يحظى بها الشيخ في هذا المجتمع قائلاً: فطلاب المخطرة يفدون من كل حذب وصبوب إلى خيمة معلم المخطرة، ويحظى هذا الشيخ بتقدير الأهالي والطلاب ويبقى فضله قائماً على الطلاب حتى بعد انتهاء الدراسة، يتجسد ذاك في هدايا تقدم له، عرفانا له بالجميل²⁸.
- كما لم يغيب عن المستشرقين أن التأثير في هذا المجتمع قد لا يأتي بسهولة، لكن المبدأ الذي عملوا على أساسه هو: "أنهم كلما تقدموا شوطاً في معرفة مؤسسات المجتمع، كلما قلصوا المسافة بينهم وبين المجتمع من جهة، و اقتربوا شوطاً من مكان التأثير، يقول المستشرق (بول مارتى Paul Marty) مستشار الإدارة الفرنسية للشؤون الإسلامية لمنطقة إفريقيا الغربية، إن المخطرة هي المؤسسة المسؤولة عن تصدير القضاة والأئمة والفقهاء، وتسند لفئة اللزوايا (أهل العلم) وبالتالي يجب على الإدارة الاستعمارية أن تحيطها بعنايتها²⁹.
- 1-محاولات نشر الثقافة الفرنسية: وهكذا شكلت الآراء الداعية إلى حظر المخطرة والمقللة من قيمتها موقفاً حازماً اتخذته الإدارة الفرنسية ليحد من عمل هذه المؤسسة والأدوار التي تلعبها، في مسعى لإفساح المجال أمام تعليم الفرنسية في البلاد و نشر ثقافتها. وهو اعتراف ضمني بالدور الكبير الذي تلعبه المخطرة في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للبلاد. ولهذا وضعت الإدارة الفرنسية عدة خطط في هذا الصدد، بناء على ما وصل إلى الحاكم العام للمنطقة، من تقارير تفيد بمخاطرة النشاط التربوي الذي تلعبه المخطرة، على المشروع الفرنسي في غرب إفريقيا.
- جاءت أوامر الحاكم الفرنسي بإنشاء مدرسة لمعلمي القرآن يتلقون منها تعويضات مالية ويكونون تحت التأثير مباشر من الإدارة فرنسية، من أجل محاربة المحاذير التي تنتشر في كل مكان خارج رقابة وتوجيه الإدارة، ويطلعنا (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey) على هذه الإرهاسات قائلاً: "طلب (الحاكم العام) من مدير التعليم في تونس أن يكتب له ما يجري به العمل هناك، ومن السيد دي فلكور De Felcourt، في القنصلية في القاهرة طالبا معرفة سياسة

- تاريخ الارسال: 2019/03/02 تاريخ القبول: 2020/12/14 تاريخ النشر 2020/12/25
- الإنجليز في هذه المسألة. كما بعث الحاكم المساعد كلوزل Clozel، إلى الجزائر سنة 1906، وقد عاد إليه بتقرير عن المدارس والتعليم الفرنسي . الإسلامي في هذه المستعمرة"³⁰. وعلى هذا الأساس شكلت الإدارة الاستعمارية من بين وكلائها لجانا لإحصاء المحاظير في البلاد الموريتانية، تقوم بجمع معلومات عامة عن الشيخ (المنطقة التي ينحدر منها، والمشايخ الذين أخذ عنهم والطريقة التي يتبعها، وموقفه من الإدارة الفرنسية)، وكذلك عن المحظرة (عدد طلابها والكتب التي تدرس فيها....)، ومن أمثلة ذلك الوثيقة التي قدمها: "كوستاف اودان Gustave Audan"، عن المحاظير في كيدي ماغة، حيث كان مفوضا في إفريقيا الغربية الفرنسية (A.O.F)، أحصى خلالها: مائة و ستا و ستين إماما ومعلما، وقدم تفاصيل موسعة عن كل شيخ محظرة على حدة³¹.
- ومن جهة أخرى حاربت الإدارة الفرنسية الوجود المحظري خارج الفضاء الشنقيطي بقوة فبعد أن وجه (بول مارتى) اللوم للإداريين الفرنسيين على تجاهلهم نشاط الشيخ محفوظ³² الدعوي في بلاد ديولا
- الوثنية، حتى صارت له علاقة طيبة بزعماء تلك البلاد³³، فسرعان ما تم تضيق الخناق على كافة تحركات العلماء الشناقطة في السودان الإفريقي. و جاءت الأوامر من الإدارة الاستعمارية باعتقال الشيخ محمد هادي³⁴ الذي كان مستقرا بغينيا في بقرية سانديا يعلم الناس الإسلام سنة 1912³⁵. كما رحلت السلطات الفرنسية الشريف سيدي محمد حيدرة³⁶ من بلاد ديولا الوثنيين لكونه جاء لنشر الإسلام بها³⁷.
- وخلاصة القول إن المستكشفين وقفوا على التعليم الشنقيطي من جميع جوانبه، سواء تعلق الأمر بالمناهج التربوية المتبعة والكتب المقررة في التدريس، والأدوار التي اضطلع بها علماءه.
- ثالثا: معارضة الثقافة الفرنسية
- 1- المحظرة في وجه الثقافة الفرنسية
- ظل الإقبال على المدرسة الفرنسية ضعيف، رغم كل الإكراهات المفروضة على المحظرة وطلابها. وهو ما يظهر من خلال تقرير للضابط (روس: J.Rosso) حيث يقول: إن إقبال أبناء البيضان³⁸ ظل

- تاريخ الارسال: 2019/03/02 تاريخ القبول: 2020/12/14 تاريخ النشر: 2020/12/25
- معدوما في السنوات الأولى، وإقبال أبناء الزوج موجود لكنه ضعيف، لم يتجاوز خلال عامي 1905 و1906، الأربعة والعشرين طالبا، بعد أن كانوا سبعة طلاب، رغم توفير منح دراسية لكل من يلتحق بهذه المدرسة...³⁹.
- ويرجع (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey) سبب عزوف الشناقطة عن المدرسة الفرنسية إلى قلة نجاعة الوسائل المتخذة من طرف الإدارة الفرنسية، فالأولى في رأيه أن تفرض التعاليم الدينية المسيحية بشكل علني مع الثقافة الفرنسية، وإلغاء الأساليب المتبعة التي لم تحرز تقدما على الواقع، يقول: "مبدأ المدرسة (أي المدرسة الفرنسية)، ممتاز ولكن تطبيقه ينبغي أن يكون حكيما، في هذه الحال يكون العمل بالتميز اللاهوتي أو لا يكون أبدا"⁴⁰.
- ويشاطره الإداري الفرنسي (بول مارتني) في اعتبار المخطرة، عقبة أمام المخطط الاستعماري في المنطقة، وصمام أمان هوية البلاد. فالمستوى الفكري لمشايخها متقدم يصعب تكييفه، فهم بمنزلة الأساتذة الجامعيين على حد وصفه⁴¹. وليس اعتباطا وصفه مشايخ المخطرة بالأساتذة الجامعيين، فقد قالها وهو
- مدرك إدراكا تاما لمكانتهم الفكرية والعلمية ودورهم الرسالي، إذ حاربوا التنصير في غرب إفريقيا، بدءا من الجوار السنغالي وصولا إلى مناطق مصب النهر، وهو ما أفصح عنه في كتابه (آخر) قبائل ترارزة، بقوله أن العلماء الشناقطة يحظون بإقبال كبير في منطقة الضفة خلال القرن 19، وهو ما لفت انتباه المبشرين⁴²، وسبب إزعاجا وإرباكا لعمالهم⁴³.
- ينضاف إلى ذلك شهادة أخرى من الرحالة (مولين Mollien)، تطلعنا على المناطق التي وصلتها المخطرة وحاربت فيها التنصير. فقد كان الشناقطة يتنقلون بمحاضرهم حيثما حلوا وارتحلوا دون أن تمنعهم المهن التي يمارسونها، فنشروا الإسلام في أصقاع لم تكن لتصلها في تلك الفترة، وأنقذوها من خطر التبشير المحدث، فنافسوا المبشرين المسيحيين في غرب إفريقيا. فها هو (مولين Mollien) متضايق من هذه المسألة إذ يقول بأن المبشرين المسيحيين في رأس الرجاء الصالح لن يصلوا إلى مناطق وسط إفريقيا إلا بعد أن يكون الإسلام وصلها عن طريق العلماء الشناقطة.⁴⁴
- والغاية من حظر نشاط المخطرة ليس فقط للأدوار التي اضطلعت بها في مناطق الضفة

تاريخ النشر 2020/12/25	تاريخ القبول: 2020/12/14	تاريخ الارسال: 2019/03/02
ملح البلاد ما جواب سائل عن حكم أمر في البلاد نازل تسليمنا أولادنا الصغار طوعا إلى مدارس النصارى كما أجابه محمد الأمين بن محمد مولود بن أحمد فال:	فقط، وإنما لإحلال المدرسة مكانها وهو ما لم يتم. وعندما عجزت المدرسة عن استقطاب الأهلي لما واجهته من مقاومة ثقافية ودينية، لجئت الإدارة الفرنسية إلى فرض ساعات من اللغة الفرنسية في كل محطرة فكانت المقاومة الثقافية حاضرة تذكر وتحذر من خطرهما.	2- معارضة المدرسة الفرنسية شكلت محاربة المدرسة (Ecole) عنوانا عريضا في شعر المقاومة الشنقيطية وذلك لعدة عوامل منها: أن التنصير أصبح على الأبواب بعد أن وصل المنصرون (وبحماية من الإدارة الاستعمارية) إلى الجوار المباشر للبلاد، فشاهدوا الاضطهاد والقهر والاستعباد يمارس على السكان المحليين، وتفرض عليهم الثقافة الفرنسية.
جاز تعلم خطوط الكفرة لبالغ من الملاح المهره ومنعوا إسلام نجله الأب لكافر يبعثه في المكتب فإنهم بعد إذا تنصرا على الذي أعطاه، فيها اشتهرا ذكر ذا العلامة الشوشاوي ⁴⁵ بحر المعارف الخضم الراوي ورد عليه أيضا العلامة عبد الله بن داداه ضمينا بقوله:	وهو ما تولدت عنه هبة شعبية واسعة ضد افتتاح هذه المدارس منذ مطلع القرن العشرين وكانت الوسيلة الأنجع لإيصال رسائلهم هي الشعر، فنظموا الفتاوى، والنصائح التي تحذر من تسليم الصغار للمنصاري، وأن من يفعل ذلك يكون مفرطا في أبنائه. كما بينوا أن المدرسة الفرنسية وسيلة لمحاربة الدين وطمس الهوية الإسلامية، وقد جاءت الفتاوى بهذا الصدد من أعلام كبار ومن مختلف مناطق البلاد.	وقد استفق الشاعر محمد بن محمد المصطفى العلماء في نازلة المدارس الاستعمارية:
كما جاء النهي عن تسليم الأطفال للمدارس، والتذكير بعواقب ذلك من الويل والثبور في الآخرة والعار والدنية في الدنيا ويحذر أحمدو بن فتي للذين يرتادون مدارس النصارى بناة مدارس الفاني عدوي لثوا للموت وابنوا للخراب		

تاريخ النشر 2020/12/25	تاريخ القبول: 2020/12/14	تاريخ الارسال: 2019/03/02
شنقيط لم تفلح في أهدافها، فلم تنجح في تغيير الوجه الثقافي والحضاري للبلاد وترسيخ الفرنسية على أن تكون لغته الأولى، والتي تقلصت شيئاً فشيئاً بعد خروج آخر جنود المستعمر من البلاد.	شنقيط لم تفلح في أهدافها، فلم تنجح في تغيير الوجه الثقافي والحضاري للبلاد وترسيخ الفرنسية على أن تكون لغته الأولى، والتي تقلصت شيئاً فشيئاً بعد خروج آخر جنود المستعمر من البلاد.	فأبنية الحطام إذا أقيمت كأبنية العناكب والذباب يقول محمد حبيب الله بن مياها ألا أيها الإخوان إن المدارس جديد كان أو كان دارسا
صحيح أن الفرنسي أستطاع يحدث شرحاً بين فئات المجتمع، وخاصة في المجال الثقافي من خلال جعل اللغة الفرنسية لغة خاصة بالزواج الذين ركز على تعليمهم بعد ما عجز عن استقطاب فئة البيضان الناطقة بالعربية، وهو تأثير باق إلى أيامنا.	صحيح أن الفرنسي أستطاع يحدث شرحاً بين فئات المجتمع، وخاصة في المجال الثقافي من خلال جعل اللغة الفرنسية لغة خاصة بالزواج الذين ركز على تعليمهم بعد ما عجز عن استقطاب فئة البيضان الناطقة بالعربية، وهو تأثير باق إلى أيامنا.	مكيدة أهل الكفر للدين بالدنا غزوه بها غزواً قد اعيا القوارسا وعمت ببلواها ديانتنا التي بها ذا الكفر رؤوماً وفارسا
إلا أن بعضاً من فئة الزواج يتكلم العربية مع الفرنسية. ومع ذلك فإن البلاد مازالت تحافظ على صلاتها وروابطها الثقافية وتقف في وجه أي غزو فكري يمكن أن يطرأ على هويتها.	إلا أن بعضاً من فئة الزواج يتكلم العربية مع الفرنسية. ومع ذلك فإن البلاد مازالت تحافظ على صلاتها وروابطها الثقافية وتقف في وجه أي غزو فكري يمكن أن يطرأ على هويتها.	ألم تنظروا هل هي من حرث دينكم للأخرى فلا تألوا عليها منافسا وهل هي للدينا بمحض معيشة بالآخرى تجر الطنافسا
		ففروا ففروا فالتقى خير زادكم إذا ما نبذتم في سواه الوسواسا

ويقول الشيخ محمدو حامد بن آلا

والدين مبقاه أن تأتي الصغار به

وحيث لا فإذن لم يبق من دين

والناس إن أفسدوا دين الصغار رضوا

بالحو للدين من كل الدواوين

وليس يرضى بمحو الدين غير عم عن

نصح الإيمان والإسلام مفتون

خاتمة:

وهكذا ندرك أن المحاولات التي بذلتها الإدارة

الاستعمارية في ترسيم الثقافة الفرنسية في بلاد

المصادر والمراجع:

✓ شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي. المنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987

✓ إمارة ادوعيش ومشظوف، الشيخ سيديا بابا،

تح: إزيد بيه بن محمد محمود ط2، نواكشوط،

1994

✓ إخبار الأخبار بأخبار الآبار، أحمد بن أحمد

يورة، ترجمة (بول مارتي Paul Marty)،

- تاريخ الارسال: 2019/03/02 تاريخ القبول: 2020/12/14 تاريخ النشر 2020/12/25
- ✓ دراسة أحمد ولد الحسن، معهد الدراسات الإفريقية الرباط، 1992.
- ✓ مجتمع البيطان في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية.
- ✓ الطريق إلى تنبكتو عبر موريتانيا، محمدو ولد محمدن أمين. بدون السنة.
- ✓ مجالس مع فضيلة العلامة محمد الأمين الجكني الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني الشنقيطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت، 2007. ط1.
- ✓ موريتانيا وأوربا عبر التاريخ، محمد سعيد ولد همدي، بدون: السنة ودار النشر.
- الرحلة في صورة الآخر قراءة في نصوص الرحالة الأوربيين تأليف مشترك إشراف: كريم بجيت.
- ✓ موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975، (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey)، ترجمة محمد ولد بوعليبة دارجسور للنشر. بتصرف.
- ✓ المقاومة السونكية، للاستعمار في كيدي ماغة، محمد المحبوب ولد محمد المختار ولد بيه. مكتبة القرنين، 2010.
- ✓ السن الأنسب لتدريس اللغات الأجنبية خالد بن عبد العزيز الدامغ، 2011، الوطن للنشر، السعودية الرياض.
- ✓ المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية. ص: 37. بكر ابن عبد الله أبو زيد. دار ابن حزم القاهرة ط1. 2006.
- المجلات:
- التأليف الموريتاني في ظل الاستعمار، د. الشيخ سيدي عبدالله، ورقة بحثية، مجلة الأديب، اتحاد الأدباء الموريتانيين، العدد 10، 2010.
- المنظمات الإنسانية واجهة الاستعمار الجديد في موريتانيا، محمد المختار سيدي محمد، مجلة الحكمة، ص: 68، ع: 12، 1999، بغداد.
- مقال: الإيديولوجيا الاستشراقية في رحلة إدموندو دي أميتشس حول المغرب خالد شاوش، ص: 131، 2013.
- المراجع الأجنبية:
- ✓ Paul Dubié. La vie matérielle des Maures mémoires de L'Ifa n°23, dakar, 1954.
- ✓ Gaston Donnet, En Sahara a travers le pays des maures

- تاريخ الإرسال: 2019/03/02 تاريخ القبول: 2020/12/14 تاريخ النشر: 2020/12/25
- ✓ Francis Nicolas, La langue berbère de la Mauritanie ,Mémoire de l'institut français d'Afrique noire n° : 33 , IFANDAKAR 1953.
- Nomades,.Paris société française Edition D'Art.
- ✓ Etienne Richet ,La Mauritanie.
- ✓ Ismael Hamat, Chronique de la Mauritanie sénégalaise, Nacer Eddine, texte arabe traduction et Notice, P :1 . Ernest Leroux Editeur, Paris, 1911 ,
- ✓ Paul Marty, L'émirat des Trarza .
- ✓ LaMauritanie , préfaces :Paul Painlevé (membre de l'institut ancien président du conseil) paris, 1920.
- ✓ Paul Marty . Les tribus de la Haute MAURITANIE. comité de l'Afrique française Paris 1915 .
- ✓ Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'Afrique
- ✓ J.Roos, l'adjoint au commissaire,:Territoire civil de la Mauritanie (Rapport d'ensemble),P :54. Saint-Luis, Imprimerie du gouvernement 1908
- ✓ Paul Marty. L'islam au Sénégal / T1
- 1: Gaston Donnet , En Sahara a :1 travers le pays des maures Nomades, Paris société française . 302p : 301 , Edition D'Art.
- 2: يعتبر تقرير الضابط ماج وثيقة مهمة حول تاريخ وجغرافية المنطقة خلال القرن 19. وقد زار ولايتي: كيدماغه وتكانت، ينظر: كتاب: وثائق من التاريخ الموريتاني، محمدو بن محمدن ، ص ص:29-33. ، منشورات جامعة انواكشوط 2000.
- 3: Les Maures.
- 4: في الوقت الذي كان المشاركة والمغاربة يسمونها بلاد شنقيط، محاولات تأثير الإستشراق على الهوية

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/12/14

تاريخ الارسال: 2019/03/02

Paris, 1911 ,
 : P. Ismael Hamat. 15
 16: مجموعة قبلية.
 : 2 P. Ismael Hamat. 17
 18: إمارة ادوعيش ومشطوف، الشيخ سيديا بابا،
 تح: إزيد بيه بن محمد محمود ط2، نواكشوط، 1994،
 ص: 95،
 19: التأليف في موريتانيا في ظل الاستعمار. ورقة
 بحثية د. الشيخ سيدي عبد الله مجلة إتحاد الأدباء الموريتانيين،
 ع، 10، 2010
 20: إخبار الأخبار بأخبار الآبار، أحمد بن أحمد
 بيورة، ترجمة (بول مارتى Paul Marty)، دراسة أحمد
 ولد الحسن، معهد الدراسات الإفريقية الرباط، 1992.
 تقع في 124 صفحة.
 21: شنقيط المنارة والرباط، ص: 53، 56.
 22: مجالس مع فضيلة العلامة محمد الأمين الجكني
 الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني
 الشنقيطي، ص: 30-31، وزارة الأوقاف والشؤون
 الإسلامية دولة الكويت، 2007. ط1.
 23: موريتانيا وأوروبا عبر التاريخ، محمد سعيد ولد
 همدى ص: 61، 62

La langue 24: Francis Nicolas,
 ,Mémoire berbère de la Mauritanie
 de l'institut français d'Afrique noire
 DAKAR 1953n° : 33 , IFAN
 25 :A .N.M ; Série E, dossier

الشنقيطية، أطروحتنا للدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد
 الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس،
 ص: 201، 2016.

5: من رحلات المستكشفين خلال القرن التاسع
 عشر إلى الإمارات العربية في بلاد الصحراء ، محمد بوعليبة
 الغراب، ص: 229.

6: انظر إزيد بيه ولد محمدو الزوايا في بلاد شنقيط

7: الدارحة الموريتانية

8: التأليف الموريتاني في ظل الاستعمار، د. الشيخ
 سيدي عبد الله، ورقة بحثية، مجلة الأديب، اتحاد الأدباء
 الموريتانيين، العدد 10، 2010.

9: الوالي الفرنسي على السنغال في تلك الفترة.

10: بلاد البيضان أو أرض البيضان، هي تسمية من

تسميات أطلق على موريتانيا قبل الاستعمار.

11: الطريق إلى تنبكتو عبر موريتانيا، محمدو ولد
 محمد أمين، ص: 193.

12: التأليف الموريتاني في ظل الاستعمار، د. الشيخ
 سيدي عبد الله مجلة إتحاد الأدباء الموريتانيين، ع، 10،
 2010

13: الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان

الديباني.

14: Ismael Hamat, Chronique de

la Mauritanie sénégalaise, Nacer
 Eddine, texte arabe traduction et
 Notice, P :1 . Ernest Leroux Editeur,

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/12/14

تاريخ الارسال: 2019/03/02

Haute MAURITANIE,p:85, comité
de l'Afrique française Paris 1915 .

³⁰: (فرانسيس دو شاسيه Francis de chassey)، موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975، ص: 127. ترجمة محمد ولد بوعليبة دارجسور للنشر.

³¹: المقاومة السوننكية، للاستعمار في كيدي ماغة، ص: 83، 190. د. محمد المحبوب ولد محمد المختار ولد بيه. مكتبة القرنين، 2010.

³²: أحد العلماء الشناقطة الذين اشتهروا في الغرب الإفريقي تحدث عنه بول مارتي في روايته لأخبار العلماء الشناقطة.

³³: paul marty. L'islam au
sénégal p :46/ T1

³⁴: أحد العلماء الشناقطة الذين اشتهروا في الغرب الإفريقي.

³⁵: الوثائق الوطنية ملف E2/44. النحوي
ص: 343

³⁶: تلقي تعاليم الدين الإسلامي على يد العلماء الشناقطة.

³⁷: النحوي 343.

³⁸: الشناقطة الناطقين بالعربية .

³⁹ J.Roos, l'adjoint au
Territoire civil de la :commissaire,
Mauritanie (Rapport
d'ensemble),P :54. Saint-Luis,
Imprimerie du gouvernement 1908

N°8 Mr. Le ministre des colonies en
date du 1decembre 1902,

نقلا عن المنظمات الإنسانية واجهة الاستعمار
الجديد في موريتانيا، محمد المختار سيدي محمد ، مجلة
الحكمة، ص: 68، ع: 12، 1999، بغداد.

²⁶: يتحدث المستشرق إدموندو دي أميتشس عن
الكتاب القرآني المغربي وتتقارب الأوصاف مع اختلاف
بسيط في أعداد الطلاب التي هي بالعشرات في المخطرة:
"...الكتاب القرآني الذي يتكون من حوالي ستة أطفال
تحت رقابة المعلم الذي يحمل العصا وعلى أهبة معاقبة أي
شروء من جانب تلاميذه...والذين يتناوبون على لوحة
واحدة للقراءة.." الرحلة في صورة

الآخر قراءة في نصوص الرحالة الأوروبيين تأليف
مشترك إشراف: كريم بجيت، مقال: الإيديولوجيا الاستشراقية
في رحلة إدموندو دي أميتشس حول المغرب خالد شاوش،
ص: 131، 2013

²⁷: La Etienne Richet: 119
Mauritanie ;p

²⁸: Etienne Richet, (professeur,
au collège des seinces sociales,
membre du conseil supérieur des
colonies), La
Mauritanie , préfaces :Paul Painlevé
(membre de l'institut ancien président
du conseil) paris, 1920.

²⁹: Les tribus de la . Paul Marty

تاريخ النشر 2020/12/25

تاريخ القبول: 2020/12/14

تاريخ الارسال: 2019/03/02

- ⁴⁰: Francis de شاسه دو (فرانسييس دو شاسه chassey)، موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975، ص:130. ترجمة محمد ولد بوعليية دارجسور للنشر
- ⁴¹: Les tribus de la Haute MAURITANIE, p:56, Paul Marty, comité de l'Afrique française Paris 1915
- ⁴²: Paul marty, L'émirat des Trarza p:271
- ⁴³: Paul marty, L'émirat des Trarza p:286
- ⁴⁴: Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'Afrique
- نقلا عن مجتمع البيضان في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، سابق، ص:300،
- ⁴⁵: الشيخ الإمام الأصولي الفقيه أبو علي حسين بن علي بن طلحة الرجرجي الوصيلي الشوشاوي نسبة إلى إقليم شيشاوة المغربي.